المحتلة، واستمرارها حتى الآن لما يزيد على عامين. وتكمن عبقرية هذه الثورة في قدرتها على شلّ آلة الحرب الاسرائيلية، ومن ثمّ قلب معادلة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، رأساً على عقب، التي كانت ترتكز، أساساً، على التوازن العسكري بين العرب واسرائيل. وتعتبر القضية الفلسطينية أقوى سلاح ضغط، ان لم يكن السلاح الوحيد، في مواجهة اسرائيل الآن، وهو سلاح لا يستطيع تفوّق اسرائيل العسكري ان يفعل حياله شيئاً. امّا العامل الثاني، فهو اتجاه أوضاع العالم العربي الى التحسّن النسبي، بعد تخفيف حدّة التوتر في بؤر كثيرة في العالم العربي، ثمّ عودة مصر الى الصف، وهو تحسّن قابل للتطوير في المستقبل، ويفتح الباب، مرة أخرى، لامكان اعادة النظر في قضايا الدفاع والأمن على مستوى النظام العربي ككل. ومن شأن هذين العاملين تحسين موقف العرب التفاوضي الى حدّ بعيد، مقارنة بالوضع السابق على اندلاع الانتفاضة الفلسطينية أو عودة مصر الى الصف العربي.

وأخيراً، اذا ما نظرنا الى التوازنات العالمية، فسوف نجد ان النظام الدولي يدخل مرحلة جديدة من الوفاق، ولكنها مرحلة يبدو فيها النظام الاشتراكي في موقف الدفاع، والنظام الرأسمالي في موقع الهجوم. ولهذا الوضع عدد من التأثيرات السلبية، في مقدمها ان الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية سوف تركز على الاصلاحات الداخلية، خلال السنوات الخمس المقبلة على الاقل، ولن تكون ترسانة السلاح متاحة بالشروط السابقة عينها. واذا أخذنا في الاعتبار طبيعة علاقة الولايات المتحدة الاميركية باسرائيل، وطبيعة علاقة الاتحاد السوفياتي بالدول العربية، فمن المتوقع ان يتعرّض الطرف العربي للضغط أكثر، وان يُدفع، دوماً، في اتجاه تقديم المزيد من التنازلات. ومن الملاحظ ان الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية بصدد اعادة تقويم سياساتها في الشرق الاوسط، محكومة، في ذلك، بطبيعة المتغيّرات الجديدة في النظام الدولي، ودور اسرائيل والقوى اليهودية العالمية في هذا النظام. ولذلك، فان نهج الدول الاشتراكية سوف يكون أكثر براغماتية وأقل ايديولوجية، وهو ما يعني ان هذه الدول سوف تعطي الاولوية للاعتبارات الدافعة نحو تحسين علاقاتها مع اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية. لكن، من ناحية أخرى، لا يجب اغفال ان المناخ الجديد في العلاقات الدولية يشجع على حل الصراعات الاقليمية من طريق التفاوض، وهو ما يعني ان الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد السوفياتي سوف يعملان، في تشاور وتنسيق أكثر، لتجنّب اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط، من ناحية، ودفع الأطراف المتصارعة نحو التفاوض، من ناحية أخرى.

من هذا الاستعراض العام، والسريع، لتأثير التوازنات المحلية، والاقليمية، والعالمية، في مسيرة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، يمكن ان نخلص الى النتائج التالية:

١ ـ ان المحصلة العامة لهذه التأثيرات تدفع، اجمالاً، في اتجاه التسوية السلمية والتفاوض من اجل الوصول الى حل وسط، وليس في اتجاه التصعيد والحسم العسكري لصالح أي طرف من الأطراف.

٢ ـ ان الطرف العربي هو الطرف المرشح لأن تقع عليه أغلب الضغوط، الناجمة عن اعادة هيكلة النظام الدولي، خصوصاً وانه الطرف الأضعف عسكرياً، والاكثر انشقاقاً في صفوفه، والأكثر عرضة للتآمر والاختراق من الخارج.

٣ ـ ان أقصى ما يستطيع ان يطمح العرب الى تحقيقه، في ظل التوازنات الحالية، أو المحتملة